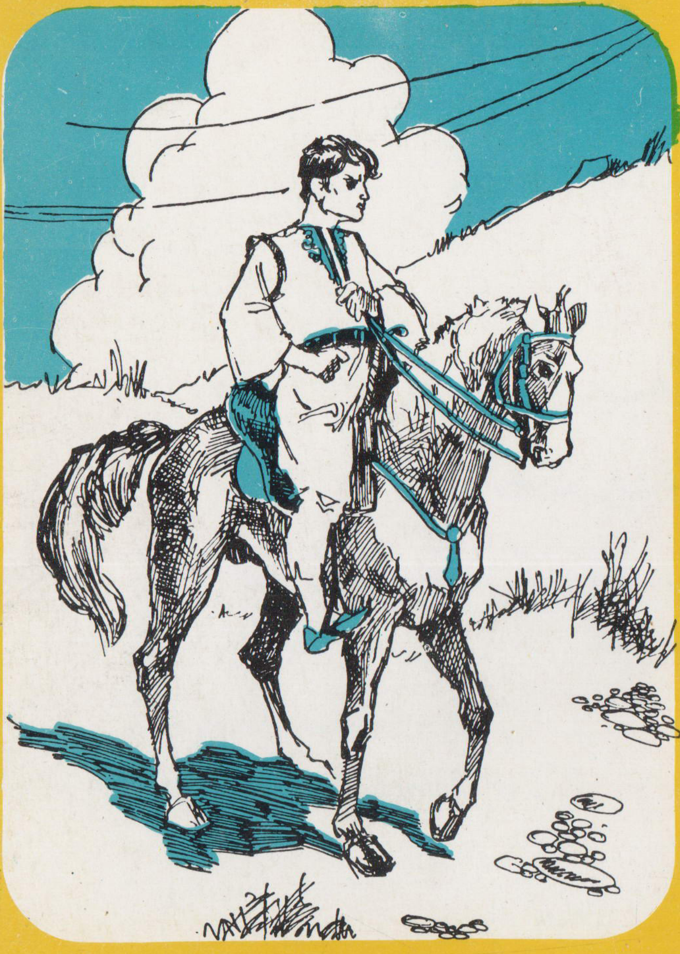
حكايات الليالي

٨



الأمير المغامر

وقصص أخرى

دار المعارف

حكايات الليالى

(٨)

الأمير المغامر
الأمير سَحاب

بقلم

أمين أحمد العطار

الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

« حكايات الليالى » حكايات قصها والد على أبنائه الصغار حين كانوا يجلسون معه كل ليلة ، ملتفين حوله ، ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة .

وكان الوالد يجيبهم إلى طلبهم ، ويحكى لهم حكاية من « حكايات الليالى » .

وفى ليلة من الليالى قص عليهم حكاية « الأمير المغامر » :

الأمير المغامر

كانَ فِى الأَزْمانِ الماضِيةِ مَلكٌ عَظِيم الشَّأْن ، تَهابُه المُلوكُ الَّذِين يُجاوِرُونَه ويَحترمونَه ، رُزِق غُلامَيْن جَميلَيْن ، فَفرِح بِهما ، واهْتَمّ بِتَرْبيَتهما وتَعلِيمهما ، وتَنْشِئَتهما علَى الشجَاعةِ والجُرأة ، والثباتِ فى مَواقِفِ الفَزَع والخُطورَة ، حتّى كَبرا ونالا من كُلّ ذَلِك حظًّا وفيرًا ، ووَجَدتْ تنشِئَةُ الأَخِ الأَصْغَر

على الشجاعةِ والجُرأةِ فى نَفْسِه اسْتِعداداً فِطْريًّا ، فَامْتازَ عَلى أَخِيه الأَكْبرِ بأنّه يَأْلَفُ المُغامَراتِ ، ولا يَخْشَى مواقِفَها المُفْزِعة الخَطِيرة ، وقد أُغْرِم بِها حَتَّى صارَت شُغله الشَّاغِل ، وصارَ لا يَجدُ راحَتَه إلا بها ، فكانَ لا يَمرُّ عَليه مُدَّة قَصِيرة دُونَ أَن تكُونَ له مُغامَرةٌ تَبعثُ العَجبَ فى نَفْسِ أَبويْه وأَخِيه ، وَرِجال القَصْرِ وخَدَمِه ، وكانتْ أُمُّه الملكَة أَخْوَف الناسِ عَلَيه مِن تِلكَ المُغامَرات ، وتَدْعُو الله فى صَباحها ومَسائِها أَنْ يُنَجّيَه مِنْ أَخْطارِها ، وقَد ذاعَت فى ذلكَ شُهرتُه وأَصبح الحَديثُ عَن مُغامراتِه يَملأُ المجالِسَ والأَندِيَة ، حَتى عُرِفَ بالأَمير المُغامِر .

ماتَ المِلك ، فصار المُلْكُ إِلَى أَخِيه الأَكْبرِ بِحكْم القانونِ المتَّبَع فى ذلك الحِين ، ولكنّه خَشىَ أَن يكُونَ

لأَخِيه الأَصْغَر رَغْبَةٌ فى أَنْ يكُون مَلِكاً بَعد أَبيه ، وهُو يُخفِي رغبَته هَذِه فِى نَفْسِه ، وسَيسْعَى بمغامراتِه إلَى خَلعِه ، وخَطْفِ المُلْكِ مِنْه ، وحِرْصاً مِنْه على أَن يكونَ فِى مأْمَنٍ مِنْ هُجُوم أَخِيه الأَصْغر وإزْعاجه ، وعلَى أَن يَشُد بأَخِيه عَضُدَه ، وأَنْ يكون لَه فى إدَارة شُئُون المُلكِ عَوْناً وسَندًا ، – من أَجلِ ذَلِك كُلّه – عَرَضَ المُلكَ على أَخِيه الأَصغر وقال له :

أَنتَ أَخِي وشَقيقِي ، وكِبَرى فى السِّن لايَجعَلُنى – بيْنى وبَيْن نَفسِى – أَحقَّ بالملْكِ مِنْك ، ويَسُرنى أَن تكونَ أَنتَ يا أَخِي مَلِكاً ، وسأَكُون لَكَ خَير عَوْنٍ وسَند .

قال الأَخُ الأَصغر : شُكرًا لكَ يا أَخِي ، وما أَنَا إلاّ أَخوكَ الأَصْغَر ، يَدِينُ لكَ بالطاعةِ والاحْتِرام ،

وإنى أُحبّ أن أكونَ فى حَياتى حُرًّا طَليقاً ، ولا أُحبُّ أن أكونَ سَجِيناً ، تَحبِسُنى تقاليدُ المُلك فِى سِجْن يَضيقُ له صَدْرِى ، ويَحولُ بَينى وبَين إمْتاعِ النّفسِ بما فُطِرتْ عَليْه من حُبِّ المَغامَرات ، ومُصارعة اللّيالِى والأيّام ، فاتركْنِى لحُريّتِى ، وهَنِيئاً لكَ مُلك أبيك ، وسأكونُ لكَ خيرَ مُعين ، وأقْوَى سَنَد .

* * *

تَولّى الأخ الأكبر مُلكَ أبيه ، وهُو آمنٌ على نَفسِه ومُلْكِه مِنْ أَخيه ، فأدار شُئونَه على أَساس من العَدْل والرّأفَة ، والحزْم والنّزاهة . والعَمل علىَ إسْعادِ شَعبِه ورَفاهيتِه .

أمّا أخوه الأصْغر فقَد عاشَ مُشْبِعاً نَفسَه بما فُطِرتْ علَيهِ مِن مُغامرات كانَت مَثار العجَب والدّهشَة فى نُفوسِ الناس ، ومَسْلاتهم حِين يَجتمعُون ويَتحدّثُون ، ولعلّكَ

أيها القارئُ الكَريم فى شَوقٍ إلَى أن تَقرأ شيئاً مِنها .

* * *

قال الرّاوِى : ركِب الأَميرُ ذات يوم فرسه ، وانطَلق بِه فى الفَلاة يَبغِى الاسْتِمْتَاع بِمشاهدِ الطّبِيعة الّتى لم تعملْ فِيهَا يدُ إنْسان . فجعلَ يَمشى غَارِقاً فِى اسْتمتَاعِه ، لاهِياً به عَنْ مَصِيره ، حَتّى انْقطَع عَن العُمران ، واخْتفَى فى مَتاهاتِ الصحراءِ ، غير خَائف ولاَ فَزِع ؛ لأَن له قَلباً قُدّ منْ صَخْر ، ولأَنّه يَعتَمدُ علَى شَجاعتِه ، وذَكائِه وسُرعةِ بَديهتِه ، ولأَنه لا يَذهَلُ ولا يَضْطرب ، إذَا دهَمَه خَطَر أَو عَطَب .

غَربت الشّمسُ وهو فى تلِكَ الوحْدة المُخِيفَة ، ولكِنّه كانَ كَمنْ جَلسَ آمِناً فى قصره ، لا يَتوقّع

شَيئاً يُزعجهُ ، فرَمى ببصَرِهِ باحثاً عنْ مَأْوًى يستكِنُّ فِيه ليْلتَه . فبانَ له أَثَر ضَوءٍ ينبعث من كهْفٍ فى سَفْح ِجَبل أَمامَه ، فانْتبَه حُبُّ الاستطْلاع ِفى نَفسِه ، واندفَعَ نحوَ هذا الكَهفِ ليتبَيَّن من فِيه ، ويَقفَ على حَقيقةِ أَمره ، فقَد دَهِشَ مِن أُناس يَعتزِلون العُمران ، ويَتَّخذُون بَيتَهم فى هذا المكانِ السّحِيق .

قَرُب الأَمير من الكهْفِ ، فَنزَل عن جَوادِه ، وأَشار إِليه أَن يلزَمَ مكانَه ثابتاً لا يَتحَرك حتَّى يرجعَ إِليْه ، ومَضَى هُو فى هدُوءٍ وبُطءٍ إِلَى الكَهفِ ، ثم وقف بِجَانبِ مدخلِه وأَرهف سَمعهُ ، عسى أَنْ يَسْمع من داخِله شيئاً يُعِينُه على مَعْرفَةِ مَنْ فِيه .

جَلَسَ مَن فى الكَهفِ يأْكلُون ويتَحَدثون ، وبَعدَ أَن أَكلُوا وشَبِعوا أَخذوا يَقْتسمون ما نَهبُوه من المال فى



ومضى الأمير فى بطء وهدوء إلى الكهف

يَومِهم هَذا فَعرَفَ مِن حَدِيثهم وقسْمَتهم أَنَّهم خَمسةُ رِجال ، وأَنَّهم لُصُوصٌ يهاجمون السائرين ، ويَنْهبونَ أَموالَهم، ثُم يَفِرُّون بِها إلى كهْفِهم فِى ذلكَ المكان السَّحِيق حَيثُ يأْمَنُون علَى أَنْفسِهم ، وحَيثُ لا يَعرِفُهم إنسانٌ ، ولا يَشْعُر بِهم أَحد .

رجَع الأَميرُ إلَى جَوَادِه وامْتَطاه ، وسَار بِه إلَى الكَهفِ حتَّى وقَف أَمَامه ، ثم أَشار إلَيْه أَن يَصْهل ويُحَمْحِم .

صَهل الجوادُ وحَمْحَم فانْتَبَه اللُّصُوص، وأَمسَكُوا أَسلِحتَهم ، ومَضَوْا نَحو البابِ فِى بُطءٍ ، فكانُوا فى مَشْيِهم كأَنَّهم يَجُسُّونَ الأَرضَ بأَقدامِهم كَما يَجُس الطبيبُ المَرِيض ، وكانوا صَفًّا واحِدًا يَتْبعُ

بَعْضُهم بَعضاً ، وعُيونُهم شاخِصَة إلى السّاحة التى أَمامَ بابِ الكَهْف .

رَأَوا الأَمير مِن داخِل الكهْفِ فَعرفُوا أَنّه رَجُل فَتِيٌّ يَمتَطِى جَوادًا كَرِيماً ، وقَد وقَفَ به أَمام باب الكَهْفِ ، وكانُوا قدْ أَطْفأُوا المِصْباحَ الذى يُنيرُ كهفَهم حتّى يَسْتتروا بظَلامه ، ثُم أَخَذوا يتهامَسُون فَتْرة مِن الزمَن ، ثم قَرّرُوا أَن يُتابع الصفّ سَيرَه حَتّى يكونَ أَوّلُهم قَريباً من الباب ، وحِينئذ يسأَل الفارِسَ عَن شَأْنِه :

سأَل أَولُهم الأَمير فقال : مَنْ أَنتَ يا هَذا ؟

فأَجابَ الأَمير : عابرُ سَبِيل ، ضلَلتُ الطّريق ، وتهتُ فى هذه المجَاهِل ، وقَضيْتُ يَومِى فى المسير حتّى

تَعِبَ الجوادُ ، وأدركنِى اليأْسُ مِن الحَياة ، ولكِن رجَع إلىّ الأَملُ فى الحياةِ حِينَ عَثرتُ بكم ، فهلْ أَجدُ عِندكُم صَدْرًا رحْباً لِضيافتى ؟

فأجاب كبيرُهم ، وكان شيخاً كبيرًا ، لا تزالُ نضرةُ الشّباب وفُتوّةُ الحداثة باديَتَيْن علىَ شكْله :

على الرحْبِ والسّعة يا ولدى ، انزلْ وتَفضّل ، والكهفُ من الداخِل فَسِيح يَتَّسِعُ لجَوادك ، ثم أَمَر أن يُضَاء مِصْباحُ الكَهف ، فَأُضِىء فى الحال .

* * *

نَزلَ الأَميرُ وسلاحُه معه ، ودخلَ الكهفَ هُو وجَواده ، وأخذَ اللصُوصُ الجَواد فربَطُوه فى مَكان غَير بَعيد عَنْهم بحيثُ يَرونه ويَراهم ، ثم أَخَذُوا

مَجلِسَهم والأَمير بَينَهم . وأَمَر الرئيسُ بإِحضار الطَّعَام للضّيفِ فَجِيءَ بِه ، ولما وُضِعت المائِدةُ أَمام الأَمير قال الرئيس :

لقَدْ جِئتَنا بَعْد أَن تَعشَّيْنا ، ولكنّ تَحِيتَك تَقْضى بأَنْ آكُل معَكَ إِكْلَةَ الشّبْعان .

قال الأَمير : شُكرًا لكَ يا سَيدى ، وجَزاكم اللهُ عَنا خيرًا ، وكان فى الكَهفِ بَعض من الشَّعِير فأَمر أَن يُعَطى الجَوادُ منْه ما يُشْبِعُه وأَن يوضَع أَمامَه الماءُ ليَشْربَ مِنْه ، ففَعلُوا ما أَمَرهُمْ به .

أَكلَ الأَمير حَتّى شَبع ، ثم حَمِد اللهَ وشَكَرهُم . وجَلَس بَينَهم يَشْرَبونَ القَهْوَةَ وَيتعارفُون .

قال الرئيس : عَرفْنا مِنْك أَنكَ عابِرُ سَبِيل ، ولم

نَعرف اسْمكَ ولا عائلتَك ولا بَلْدَتك ، ويُشَرّفُنا أَن نَعْرِفَ ذَلك .

قال الأَمير فى نَفسِه : إِن أَنا أَخْبَرْتُهُم أَنى أَخو المَلك ، وأَنى من المدينَةِ التى تُشرف علَى هذِه الفَلوات والمجَاهل ، انْقضَّ علَىَّ جَمْعُهم دَفْعَةً واحِدة ، وضَربُونى ضَرْبَةَ رجُلٍ وَاحِد ، وقَضَيتُ علَى نَفْسى . ولهذا تنكَّرَ وغَيّر اسْمَه واسْمَ عائلته وبلدَته .

قال الرئيس : وهَل كانت لك حاجة فِى تِلك الفَلاة حتى دخَلْتَها وتهتَ فِيها .

قال الأَمير : كُنْت سائرًا فى الطَّريق الممتدّ علَى جَانبِ هَذه الفَلاة ، وشَعَرت بحاجَتى إِلَى التبوّل ، فَدخلتُ الفَلاة ، وأَبعدتُ فى المسير ، ولما قَضَيت

بِحاجَتِى ركبتُ جَوادِى وسارَ بِى ، ولما طالَ بِه المَسِير ولم أَصِلْ إلى الطَّرِيق انتبَهتُ وعرفْت أَنِّى ضَللتُ وتِهت ، وقضَيتُ يومِى سائِرًا وضَالاًّ حتّى كنْتُ أمام كهْفِكُم .

قال الرئيس : ولِمَ خَرجْتَ من بَلدِك ؟ ومَا وِجْهتُك؟

قالِ الأَمير : كنت ذَاهِباً إلى بلدَة. . . لكَىْ أتعاقد أَنا وفُلان التاجِر بتلْك البَلْدة على صَفْقةٍ تجارية يُرسلُها إلى ، علَى أَنْ أُعطيَهُ ثَمنَها مُقسَّطاً علَى عَدَد من الأَشهُر ، وأَرادَ الرئيسُ أَن يَعْرفَ هَل مَعه نُقود أولا ، فقال :

وهَلْ يَرضَى ذلكَ التاجرُ أَن يُعطِيَك بِضَاعةً دُونَ أَن تَدفَعَ له شَيئاً من ثَمنِها ؟

قال الأَمير : سَمِعْنا آباءَنا يَقُولون : اتَّخِذ الصِّدْق رأْسَ مالٍ لك تُشارِك الناسَ فى أَمْوالِهم . وقَد جَرَّبَنى فَوجَدنِى صادِقاً أَميناً ، فأَصْبح يُعطِينى ما شِئتُ من البِضَاعَة ، دُونَ أَن أَدْفَع له شيئاً من ثمنِها . ولهذا سِرتُ اليَومَ وحْدِى ؛ لأَنى لم أَحمل شيئاً من المال أَخافُ عليْه من الضَّياع .

قال الرئيس : وكَيف يَضيعُ مالٌ أَنْتَ تَحفَظُه فى جَيبك ، وتحرسُه بِيقظتِك ؟

قال الأَمير : إنَّ الطرقَ التى تخترقُ الفلوات أَو تمرُّ بِالغابات يُهدِّدُ الأَمنَ فيها ويُزعجُه قُطَّاعُ الطرُق واللّصوص ، وهَؤُلاءِ لا شَفقةَ عنْدهمْ ولا رحمة ، يَنزلون علَى السّائرِين فيها نُزولَ مَلَكِ المَوْت ، فينْهبُون أَمْوالَهم ، ويَفرُّون بها إلى مَجاهَل الفَلَوات ، ومخابِئ

الغابات ، حَيثُ يجدُونَ مَسَالكَ يسلكُونَها إلَى بُيوتِهم وأَهْليهم وهُم آمِنون .

قال الرئيس : وما رأيك فِينا وظَنُّكَ بنا ؟

قال الأَمير : أُناسٌ ذَوُو كرَمٍ ومُرُوءَة ، ولكنَّنى فى حَيرة من إقامَتِكُم فِى هذا المكَان المنقَطع عَن العُمرَان.

قال الرئيس : نحن خَمسةُ رجالٍ كما ترى ، ربطَتْ بينَنا فى بلدَتنا صَداقةٌ قَوية ، ورأَينا الناسَ قَد فسَدتْ أَحوالُهم ، وانْتَشر الظُّلْم فِيهم ، فَلاَ تراحُمَ بينَهم ولا مَودّة ، يَعيشُونَ كما يَعيشُ السَّمكُ فى الماءِ ، يأْكُلُ قوِيُّهم ضَعيفَهم ، ولا يَحترِمُ صَغيرُهم كبيرَهم ، فَفَررْنا بدِينِنا إلى هذَا المكَان ، وفى أَول كُلِّ شَهرٍ يأْتينا أَهْلُونا بِما يَكفينا من الزّاد ، أَمّا الماءُ فإنّنا

نَحصلُ عليه منْ عَين عَذْبة قَرِيبةٍ منا . فَماذا تَرَى بَعدَ ذلكَ فِينا ؟

قال الأَمير : لا أَرَى إلاَّ كُلَّ خَير ، ثمّ تَثَاءَبَ طَويلا فقال الرئيس :

أَراكَ مُتعَباً وفى حاجةٍ إلى النّوم والراحَة، فلنَذْهَب جَميعُنا إلى مَضاجِعِنا ، وهذا مَضْجَعُك قَد أَعدَدْناه لكَ.

* * *

نامَ جَميعُهم فى مكانٍ واحدٍ من الكَهف ، ولكنَّ كُلَّ واحدٍ منْهم قَد انتَحى منْه ناحِية ، ولم يَنَم الأَميرُ ولكِنّه تَناوَم ، وبَعد مُدة اعتقَدَ اللُّصُوص الذين كانُوا قد تَناوَمُوا أَيضاً أَنَّ ضَيفَهُم قَدْ غَرِق من تَعبِه طولَ يَومِه فى نَومٍ عَمِيق. فَسَمِعهم يتهامَسُون ، فأَرهَفَ سَمْعَه ، وأَحضَرَ وَعْيَه ؛ لِيَقفَ علَى ما يدبرونه لَه ،

وكان رئيسُهم ذا صَوتٍ أَجَشّ ، لا يَسْتَطيعُ به الهَمس ، فسمعَه يقول :

إنْ تركْنا هذا الضّيفَ يَمضِى لسَبيله فَضَحَنا ، وكانَ سَبباً فى هَلاكنا ، ولكِنّنا فى الصَّباح نَسِيرُ به جميعُنا بعيدًا فى الصحراءِ ، ونُفهمه أننا نمضى به إلى طَريق العُمران ، وهُناك نَضْربهُ ضَرْبةً مُميتَةً ، ثم نَعُود وقَدْ غَنِمنَا جَوادَه ، وكُفِينا شَرّه .

فقالوا : خَيرًا رأَيتْ ، ثُم نَامُوا .

سَمِع الأَميرُ هذَا القَرارَ فيه، فجَفاه نَومُه، وزَادتْ يَقظَتُه، وانتعشَ وَعْيُه، وانتَظر حَتّى غَطُّوا فى نَومهم .

كانَ مَعَ الأَميرِ زُجاجةٌ صَغِيرةٌ فيها بِنْج طَيَّار ، إذا فَتَحها فى مكان انْتَشرتْ رائحةُ البنج ، وأَصابَ

مَنْ شَمها إغماءةٌ كأنَّها الموْت ، وكان مَعهُ مادةٌ أُخرَى تَمتَص من الجَوِّ تلك الرائِحة ، إذا بلَّلَ بِها مِنْدِيلاً وغَطَّى به وجْهه لا تَنفُذُ إليه رائِحةُ البنج أبدًا.

وضَعَ الأَميرُ المنديلَ علىَ وجْهه ، وفتح زجاجة البنج التى مَعَه ، فانتشَرتْ فى الكهْف رائحته ، ثم أقْفلَها وانتظر قَليلا حتّى حَبسَتْهم فى مضاجِعِهم إغْماءةٌعَميقةٌ طويلةُ المدى، ثم كشفَ عَن عَيْنَيه، وأبقى المنديلَ يغَطِّى أَنْفَه وفَمه ، وقامَ إلى أَمْوالِهم من ذهَب وجَوَاهِر ، فوضَعها فى خُرْجٍ لَهُم ، ثم وضع الخُرْج على ظَهرِ جَواده ، وحَلَّ رباطَه وامْتطاهُ ومَضَى . وتركَهم كَالموتَى لا حِسَّ لهم ولاَ حَركة .

* * *

سَارَ الأَميرُ قُبَيلَ الفَجر ، واسْتَمر سائِرًا حتّى



وضع الأمير الخرج على ظهر جواده ، وامتطاه ، ومضى . . .

طَلعت الشّمس ، فَوجَد نَفسَه أَمام غابة فَسِيحة ، فقالَ فى نفسه :

إن بَقيتُ سائِرًا فى العَراءِ سَهلَ علَى اللُّصوصِ طَلبِى والعثُور علَىّ ، ومن الحزمِ أَن أَخْتَبِىَٔ فى هذه الغابة حتى يَيْأَسُوا مِنّى ، ويقْعدوا عَنْ طَلبى .

دخَلَ الأَمير الغابة ، وأَوغَلَ فِيها حتّى كَانَ بعيدًا بعيدًا عن اللصوص ، ثم نَزَل عَنْ جواده ، وجَلسَ تحت شجرةٍ كَبيرَةٍ مُمتَدةٍ فى السَّماءِ .

استيقَظَ اللصوصُ بَعد شُروق الشمس فَلم يَجدوا الضَّيف ولا جَواده ، فظَنُّوا به الظنون ، وأَسرعُوا إِلى أَمْوالِهم ليطْمئِنّوا علَيْها فَلمْ يَجدُوها ، فأَيْقَنوا أَنه أَخذ الأَموالَ وهُمْ نائِمون ، وانطَلقوا إِلَى الفَلاة يبحثون عن الضَّيف هُنا وهُناكَ فَلمْ يَعثرُوا على أَحَد ، ولما تَعبُوا واسْتيْأَسُوا

رجَعوا خَائِبين ، يَشْوِى قلوبَهم غَيْظٌ أَلِيم .

أَسنَد الأَميرُ ظهرَه ورَأْسَه إِلى جِذْع الشجرة التى جَلس تَحتَها ، ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَيْه ونام ، ولبث نائِماً حتّى غَربت الشَّمس .

* * *

اسْتيقظَ الأَميرُ من نَوْمه بَعدَ غُروب الشّمس ، وفَتَح عَينَيه على ضَوءٍ ضَئِيل ينْبعِثُ من مصْباحٍ بَعيد ، فقالَ فِى نَفسِه :

لنْ أَهجعَ حتّى أَعْرفَ لِمَنْ هَذا المصْباح ، وَلِى من ظُلمةِ اللّيلِ والغابةِ ساترٌ يُخفِينى عن أَصْحابِه حَتى أَتَبيّنَ أَمرَهُم . ونَهضَ قائماً واتَّجهَ ماشِياً إِلى مَكانِ المصْبَاح ، يُخفِيه عَن الأَعْينِ ظَلامُ الغَابة واللّيل .

كانَ هذا المصْباحُ فى كُوخٍ مَصْنوع من خَشَب الغابَة ،

فوقَف الأَميرُ بِجوارِه من الخَلْف ، ووضَعَ أُذنَه علَى جِدَاره وأَصْغَى إلىَ دَاخله ، فسَمع فتاةً تَقول :

يا رَب ، اجْزِنى بِما صَبرْت ، وخَلِّصْنِى من سِجْنى ، وارْدُدْنِى إلى أَهْلِى وأَخِى ، ثُم بكَت بُكاءً تَنشَقُّ لهَ المرَائِر .

فَهِم الأَميرُ من قَولِها وبُكائِها أَنّها مَنْكوبَة أَو مَظْلومَة صابرَة ، وأَنّها محبُوسةٌ فى هذِه الغَابة ، وأَنَّ لَها أَهْلاً وأَخاً وهى عاجِزَةٌ عَن الرجُوع إليهم ، وأَنّها تلْجأُ إلىَ ربِّها ليكشِفَ عَنْها هذه المحنَة ، فقالَ فى نفسه :

ومَنْ غَيرِى أَولَى بكشْفِ الضّرعنْ هذه المنكوبَةِ العاجِزَة ؟

ثُم مضَى إلى بابِ الكُوخ ، ووقَفَ أَمامَه ظاهِرًا فى ضَوءِ مصْباحه وقال :

طَاب مسَاؤُكِ أَيَّتُها الفَتاة .

فاجأَ الفَتاةَ صَوتُ الأَمِير فَخَرجَتْ منْ بُكائِها فَزِعةً خَائِفة ، ونظَرتْ إلى المَتكلِّم نَظرةَ المذْعور العاجِزِ عَنْ دَفْعِ السُّوءِ عَنْ نَفْسِه ، فوجَدتْ رجُلاً فى حَداثةِ سنِّهِ ، مَوفُور الصّحة ، شَديدِ القُوّة ، لا هُو بالسَّمين ولا هو بالهَزيل ، وقالت قولاً لا يَكادُ من شِدّة الخَوفِ يخرجُ من بَيْنِ شَفتَيْها :

وطَابَ مساؤُك ، أَنتَ إِنْسِىٌّ أَم جِنِّىّ ؟

قال الأَمير والابتسامةُ تَعلو شَفتَيهِ :

أَنا إِنْسِىٌّ ولا خَوفَ علَيك ، وما جئتُكِ إلا لمعُونَتكِ ، ودَفْعِ المكْروهِ عَنْكِ .

قالت : أَحقٌّ ما تَقُول ؟

قال : نَعَم ، وايْم الله إنّه لحَقٌّ مثلَمَا أنْتِ تَنطِقِين .

قالت : تفضّل واجْلس وسَلْنِي عما تُريد .

* * *

دخل الأَمير الكوخ وجَلس ثم قال : هل تَسْمحِينَ لِي أَنْ أَعرِف سَببَ بكائِك ، وسِرّ وجُودِكِ فى هذهِ الغابة المخيفَة؟

قالت : كانَ أَبِى يُعْنَى بتَربيةِ العُجُول الصّغِيرة وتَسْمِينها ليَبِيعَها للتّجار والجَزّارين ، وكُنّا نَعيشُ على أَرْباحِها الموفُورة ، وينَال أَبِى مِنها سَعةً فى مالِه ، ومُنذُ سنَتين سَاقَ أَبِى أَمامَه عَشرة عُجُول سَمِينة ، ومَضَى بها إلى سُوقَ البَهائم ، وكانَت السّوقُ فى بلدة

بَعيدة ، وكنْتُ قَد صَحبْتُه لمعُونتِه ، وسلكْنَا طَريقاً طَويلاً مُمْتَدًّا على حافَةٍ لفَلاَة وَاسعة لا يصل البَصَر إلى مَدَاها .

باعَ أَبِى العُجول بثمن رَابح كان يَزيدُ عَنْ مائَتَىْ دينار ، ثم رجَعنا إلى بَلْدَتِنا من الطَّرِيقِ نَفسِه . وبَيْنَما نحن سَائِران فى مُنْتَصفِ الطّريق طَلعَ عَليْنا مِن الفَلاَة أَربَعة رِجال شدادٍ غِلاَظٍ ، خَناجِرهم فى أَحْزمتِهم ، وبنَادقهُم الصّغيرةُ فى أيديهم ، وحَبَسُونا فى مكانِنا ، وقالوا لأَبِى :

هاتِ ما مَعكَ من المال :

فلم يَجدْ أَبِى مُخَلِّصاً مِنْهم إلا أَنْ يُطيعَهم ، وأَخرجَ ما فى جَيبِه من المالِ ودفَعه إليْهم ، ولما أَخذوا المال قالوا له :

اذهب أَنتَ فى سبيلك وأَما هذِه الفَتاةُ فقد أَصْبحتْ مِلْكاً لَنَا ، وسنَأْخذها مَعَنا إِلى حَيْث شِئْنا.

فقال أَبى : إِنّها ابْنتِى .

قالوا : ولَوْ . . .

وقال أَبى : أَمّا المالُ فَقَد رضِيتُ أَنْ أَدفَعه لكُم ، وأَما ابنتى فلَنْ يكونَ ذلكَ أَبدًا .

قالوا : اشْترِ حياتكَ بِتَركِ ابنتك .

قال : إِنّما أَبيع حياتى من أَجل سَلامةِ ابنَتِى ، فَلا تجادلوا فى شىءٍ لا يَقْبلُ الجِدال .

فقال أَحدهم : ذلك رجُلٌ مُكابِر فَلا تُضَيِّعُوا وقْتَنا فى جِدَال لا ثَمرةَ له ، وأَطلَق بُنْدقِيَّتَه علَى رأْسِ أَبى فَخرّ صَرِيعاً ، وقُتِل من أَجْلِى .

أَخَذنى هَؤُلاءِ القُسَاة غِلاَظ الأَكبَاد ، ودُمُوعى مُنْهمِرةٌ كالمَطر ، حُزناً علىَ أَبى ، وجَاءُوا بى إلَى تِلك الغَابة ، وسَاروا بِى فِيها من هُنا إلى هُناك ، حتّى انقَطَع أَملِى من الخُروج منْها وإنْ أَخْلَوا سَبِيلى ، ثم جَلسُوا تحتَ شجَرة يَقْتسمُون ما نهَبُوه من أَبى ، ووَقَع الشقاقُ بَينهَم من أَجلِى ، كُلٌّ منهم مُصِرٌّ على أَنْ أَكُونَ من نَصِيبِه ، واشْتَدّ الشِّقاق والعِنادُ بينهم حَتّى عزَمَ كل مِنْهم على أَنْ يَقْتل الآخرَ ؛ ليزِيل من أَمامه مَنْ يُنازِعُه فىّ ، وشاءَ اللهُ أَن يُطلقَ كل اثنين مِنْهم بنْدُقيتَه على زَميلِه فى وَقت واحِد ، فأَصَابت البنادِقُ مَقاتِلَهم وماتُوا جَمِيعهم بأَيدِيهم ، ففَرحْتُ لمصْرَعِهم ، وحَمدْت رَبّى الذى لمْ يُمهِلْهم ، وعَجّل بالانْتِقَام لأَبى مِنْهم ، ولكن الحزْنَ عَلَى أَبى لا تَزالُ

ناره مُتأَجِّجةً بينَ ضُلُوعى ، وحاولْتُ الخروجَ من الغَابَةِ فَما عرفْتُ سَبيلا للخُروج مِنْها ، فكنْتُ أَمشِى هُنا وهُنا ، وأَمشِى وأَمشِى وكأَنّنِى واقِفَة مَكَانى ، منَاظِرُ متشابِهة ، وبقاعٌ متَماثِلة . تِهتُ فيها وضَللت فلَبثْت فِيها حَبيسَة الأَحْزان . وقد كنتُ أَعرفُ كثيرًا من الأَشغالِ اليَدَوِية ، وخفْتُ أَن يَرانِى وحْشٌ من الوحُوش التى اعْتادت أَنْ تأْوِىَ إلى الغَابات ، فصَنعتُ لِى من النباتات المتَسلِّقة ، والأَشجار ذات الأَوراق التِى تُشْبه الشُّعور ما يُشبه الشَّجرة ، وجَعلتُ لِى فى جِذْعها المجَوّف مأْوًى أَخْتَبِئُ فيه ، وأَسِيرُ بها من مكان إلىَ مكانٍ ، فإِذا شَعرتُ بخطرٍ وَقفتُ بها مَكانى ، فكُنْت أَبدُو لمن رآنى شجرةً من أَشْجارِ الغَابة ، ولبِثْتُ علَى هذه الحالِ مدة غير قَصيرة ، عشتُ فيها علَى

ثمار الغَابةِ ومَاءِ عُيونِها .

* * *

وذاتَ يَومٍ لمحتُ قِرْدًا كبيرًا يتبَعُنى وأنا سائرةٌ بشَجرتِى ، فَوقفْتُ حتّى ينصَرفَ عنّى ، ولكنَّه لم ينصَرِفْ ولبث يَرْقبنى مُدةً طويلَةً ، وأَنا أُراقِبه من خلالِ ثقوبٍ فى جِذع شجرتى ، ثم انْصرف وتَوارى بالأَشْجارِ عَنّى ، فسِرْتُ بشَجرتى ، وأَنا أَنظُر من ثقوبِها باحثَةً عَنْه فلَم أَجدْه ، كما لم يَقعْ نظَرِى علَى وَحْش غَيرِه ، فاطمأْنَنتُ وخرجتُ من شجَرتى ، وما أَشدّ فزعِى حِين التفَتُّ فوجَدت القِرد واقفاً وَرائى ، وما أَعْظَم عَجبِى وحيرَتى إذ رأَيتُه يتقدَّم نَحْوى مادًّا إلَىَّ يدَه ، وهىَ تحمِلُ فاكِهةً من فَواكه الغَابة ، وفَهمْتُ من لمحات عَيْنَيْهِ أَنه يتوسّل إلىّ ويرجُونى أَن

آخُذَ منْه الفاكِهَةَ وآكُلَها ، ولما أطعت توسلَه ، واستَجبْتُ إلَى رجائِه وأَخَذتُ منْه الفاكهةَ وأكلتُها أبدى من الفَرَحِ والغِبْطَةِ ، ما جعلَنِى أطمئِنّ إليْه ولا أَخْشاه ، وشَعَرْتُ كأَن قَلْبِي أحبه ، وشَغلنى حُبي له عن التّفكِير فى مصيرى مَعَه ، وعجبْتُ منْ نَفسِى إذْ وَثِقَتْ بهذَا القرد واطمأَنَّتْ إليه لأوّلِ وهلَة بَدَا مِنْه عَطْفُه ، ولاَزَمنى هذا القردُ ولم يُفارقْنِى إلا وَقْتَ أَن يَذهَب لإحْضار طعامى وشَرابى .

وذات يَوم رأَيته يقطع أَغْصَاناً من أَشجار الغَابة ويَنقُلُها إلى هَذا المكَان ، ثُم أَخَذ يُقيمُها ويَنْظُر إلىّ ويُمسِكُ الغُصْن ، ويُشير إلىّ أَنْ أرفعه مَعَه فَفهمتُ من حَركاتِه هذهِ ومن نَظَرات عَيْنَيه أَنَّه يُريدُ منّى أَنْ أُسَاعِدهُ فى بِنَاءِ كُوخٍ أَسكُن فيه ، فَعاوَنته حتَّى

بَنَى لى هَذا الكوخ ، ولما دخَلتُه لأَوَّلِ مَرَّةٍ رأَيتُه قد أَسْرَعَ وربَضَ علَى عَتَبةِ بَابِه ، جاعِلاً ظَهرَه لى ووجْهَه نَحو أَشجار الغَابَة ، ففَهمت أَنه اختَار لنَفسِه عتَبة الكوخ ليحْمِيَنِى ويَحرسَنِى ، وعشتُ فى هذهِ الغَابة مُسْتريحةً بَسببَه ، حتّى يَجعَلَ اللهُ لى مِنْها مَخْرَجاً ، وقدْ حان اليَوْمَ موعِدُ عودَتِه ولكنه لم يَعُد ، وأَنا الآنَ فى أَشَدّ القَلق علَيْه .

* * *

كان القِرْدُ قد حَضَر وهِى فى أَوّلِ حَدِيثِها للأَمِير ، فربَضَ بِجِوار الكُوخ وبالقُربِ من بَابِه ، وسَمِعَ الحديث كُلّه ، وفى آخرِ كَلمةٍ لها ضَربَ جدار الكُوخ بِذَنَبِه ، فأَسرعَ الأَمِيرُ وخرجَ من الكُوخِ فرأَى القِرْدَ رابضاً يحرّكُ ذنَبَه كما يحرك الكَلبُ ذَنَبه .

فقال : هَذا هو القِرْد ويُخيّلُ إلىّ أنه سَمِعَ الحديثَ من أوّلِه إلى آخرِه ، فهزَّ القِردُ رأسَه هزَّة يُفهَمُ مِنْها أنه سَمِع الحديثَ كلّه ، فقامَت إليْه الفتاةُ وأبدتْ إليه سُرورَها بعَودَتِه .

* * *

قال الأَمير : إنى رجَلٌ من أهلِ المُدن اضْطَرّتنى الحال إلى أَنْ أَدخُلَ هذِه الغابة ، ولنْ أخرجَ مِنْها حَتى أُخرِجَك مِنْها ، وسأَردُّكِ إلى أَهْلكِ سالِمةً آمِنَة ، وهَمّ أَنْ ينْصِرف ، ولكنَّ القِرْد أَمسكَ ثيابَه ، ونَظَر إليْه كأَنَّه يستَبْقِيه ولا يُحِبّ أَنْ يُغادر الكُوخ ويتْركَهما .

ابْتَسَم الأَمِيرُ وقال مُشِيرًا إلى جَوادِه — وكانَ قد أَحْضَره مَعه وربَطَه فى شَجرةٍ قريبة من الكوخ ومن خَلْفِه :—

هَذا جَوادى سأُحضِره وأَعوُد بِه إِليكُما ، فنَظَرَ القِرد حيثُ أَشار ، وتقدَّم أَمامه سائرًا نحو الجَواد ، ففَهم الأَمِير أَنه يُريد مُصاحَبته فى ذَهابِه وَعَوْدته.

رجَعَ الأَمير ومَعه القِرد ، وربَطَ جَوادَه فى شجرةٍ أَمامَ باب الكُوخ ، وأَعْطَى الفتاةَ الخُرجَ الذى فِيه المال والجواهِر لتضَعه فى الكُوخِ وتحافظَ عليه ، فأَخذَتْه وكانَتْ خَيرَ أَمِينٍ وحَافظ .

جلسَ الأَمير والفتاة والقِرْدُ قلِيلا قَبلَ أَنْ يذهَبُوا إِلَى النوم ، وكانَ القِردُ يبكى بكاءً تَنْهمرُ له دمُوعُه انْهمارَ المطَر ، فتَحيّرَ الأَمير فى أَمْرِ القِرد وبكائِه الذى لم يَعرِف له سَبَباً ، وتذكّرَ أَنّ القِرْدَ كانَ حَرِيصاً على أَن يَبْقَى مَعَه ولا يُفَارقه ، فسأَلَ الفَتاة قائلا :

أَرَى القِرْدَ يَبْكِى بُكاءً مُرًّا فماذَا تَعرِفِينَ مِنْ أَمْرِهِ ؟ وبِماذَا تعلِّلِينَ بكاءَه ؟

قالت : لا أَعرفُ من أَمْرِه إلا ما قلتُه لكَ ، ولا أَعْرفُ شيئاً عَنْ بكائِه ، غَيرَ أَنِّى ما رأَيتُه بَكَى إلا أَمَامكَ ، ويُخيَّلُ إلىّ أَنَّه وجَدَ فِيكَ حاجتَه ، فشَكَا إليْكَ ببُكائِه ، كما أَنّى لا أُنْكرُ عليْكَ أَنِّى أُحِسُّ مِنْ نَفْسِى عَطْفاً علَيْه ، ومَحبّةً لَه فَوْقَ ما يَسْتَحقُّه مِنِّى شُكرًا لَهُ علَى عِنايتِهِ بِى فى وَحْدَتِى ، ولِهذَا فَقد عَزَمْتُ أَلاّ أَتركَهُ فى هذِه الغَابة ، وأَصْررْتُ علَى أَنْ يكونَ مَعى حيثُ رحلْتُ أَو أَقَمت وفَاءً له واعْتِرافاً بجَمِيله .

قال الأَمير : وفوْقَ هَذا فإنى لن أُفارقَه حتّى أَعْرِفَ سَببَ بكائِه ، ومِنْ أَىِّ شيءٍ يَشْكُو ، وسَأَكونُ له كَما يُحب .

سمع القِرْدُ هَذا القَول ، فكفّ عن البُكاءِ، فَعرَفَ الأَمِيرُ والفَتاة أَنّه اِسْتَراحَ لِما تَحدّثا بهِ فى شَأْنِ بُكائه ، وأَخَذَ كلٌّ مضْجَعه حتى الصّباح .

* * *

وبَعدَ شروقِ الشَّمسِ وضَعَ الأَمِيرُ الخُرجَ على جَوادِهِ وأَمَرَ الفَتاة أَنْ تَمتطِيَه ، ومَشَى هُو والقردُ بِجوارها ؛ ليَخْرجُوا مِن الغَابةِ إِلَى بَيت الفتاةِ وأَهْلِها فى بَلْدتِها ، وكانَ القِردُ رائِدَهُم فاختارلهم أَقْصَرالطَّرق ، وكانوا بَعدَ نصْفِ سَاعةٍ خَارِجَ الغَابة ، وجَدُّوا يَسِيرونَ فِى الفلاَةِ حتَّى كانوا فى الطَّريق الذِى قُتِلَ فِيه والِدُ الفَتاةِ ، وكانَتْ تَعْرِفُه ، فسارَتْ بالأَمِيرِ والقِرْد إِلَى بَيْتِ أَبِيها وأَهْلِها فى مَدِينَتِها .

كانَت المدينَة مَدِينة أَخِيه الملِك ، وعَرَفَ ذلِكَ

منْها حِينَ قَصَّتْ علَيْه قِصَّة خَطْفِها ، ولكنَّه أخفى عَنْها أنَّها مدينَةُ أبِيه وأخِيه الملِك .

دخَلُوا المدينَة ، فاستَقبَلَهم أهْلُها مِن رِجَال ونساءٍ وولدان :

أحْضَر الأمِير فُلانة بنتَ فُلان وأخاها ولكِنْ أينَ أبُوها ؟ . . . أما أبُوها فقَد عَرفَ مَصِيره من قِصّتها ، وأمّا أخُوهَا فلم يَعرِف كما لَمْ تَعرِف الفتاة عَنه شيئاً ، ولمّا سأَلَ عَنْه قيل له :

لقَدْ سحرتْه زوجَة أبِيه قِرْدًا ونَفَتْه فى مَكان بَعِيد ، ولَعلَّ هَذا القِردَ الذِى معَك أخُوها .

عَرفَ الأمير والفَتَاة السِّرّ فى عِنايَتِه بِها فى الغَابة ، وسَبَبَ بكائِه للأمِير ، وحِرْصِه علَى ألاّ يُفارِقَه .

لَمْ يَذْهَب الأميرُ بالفتَاةِ إلى بَيْتها ، ولكن مَضَى بها

والقِرْد مَعَه إلى قَصْرِ أَخِيه الملِك ، وهُناك قَصّ عليهِ قِصّتها ، وقِصّة القِرْد مَعَها ومَعه ثم قال :

وقد سمِعْتُ أَن زوجة وَالدِ الفَتَاةِ سَحرت أَخَاها قِرْدًا ونفتْه إلى مكَانٍ سَحيق ، ويَغْلبُ على ظَنّى أَن أَخاها هو ذَلكَ القِرْد المسْحُور ، وعليكَ الآن أَن تحضِرَها وتُعاقِبَها بَعْدَ أَن تُخلصَ هذَا الفَتَى من سحْره .

أَمَر الملِكُ جُنودَه أَن يُحضِروا تلك الزوجة ، فَأُحْضِرت فى الحَال ، ولما رأَت بنْتَ زوجها والقِرْد عَرَفَتْ أَنه قد جىء بِها لينْتَقِم الملكُ مِنْها ، وأَيقنَتْ أَنَّ إِنكارَها لا ينجيها مع وجُودِ الأَمير أَخِى الملِك ، وكانَتْ ماكرَةً داهِيَة ، فبكت وقالت :

لَقَد عملتُ أَكْبر خَطِيئة ، ونَدِمْتُ على ما فعَلْت ،

وأَرجُو أَن يُمهلَنى الملكُ حتّى أُخَلّص هذا الفَتَى من سِحْره ، ويَعُود كما كان فَتًى فى نَضْرة شبَابه .

قال الملك : افْعلِى ما شِئتِ وخَلّصِيه من سِحرِه ، فطلبتْ كُوباً من الماءِ فلما جِيءَ به وضَعَتْه أَمامَها وجَعلت تقرأُ وتُتمتِم ، ثُم رشّت القردَ بهذا الماءِ فانقلَبَ فى الحالِ فَتًى جَميلاً كما كان ، ونَهضَتْ إِليْه أُختُه من غَيْر وَعْى فحضَنَتْه ، وأُغْمِى عَلَيها من شِدّةِ فرحِها ، وبَعدَ مُدة قَصِيرة أَفاقت واستيقظت ، وجَعلَتْ هِىَ وأَخُوها يُثنيان عَلىَ الأَمير ويَشكُران جَزيل فَضْله .

أَما الملك فإنّه أَمَر بالزَّوجةِ أَن تُلْقى فى السّجن حَتّى تموت .

رجَعَت البنْتُ وأَخُوها إِلى بَيْت أَبِيهما ، وأَقامَا

لَه مَأْتماً عَظِيماً ، وفَدَ إلَيه مِئات الناسِ ، الذين كانُوا يُعزّون ويُهَنّئون .

* * *

كان لملكِ المدينةِ المجاورة لمدينَة أَخِيه بنتٌ جَميلَة ، ذَاتُ عَقل كامِل ، وخلُق كَرِيم ، وقَد رغِب الأَمير أَن يتزوجها ، فكشفَ لأَخيه الأَكبر عن رغبَته ، وطَلبَ مِنْه أَن يَخطُبها من أَبيها له .

فَرحَ الملِكُ أَخوه لِتلك الرّغبة التى تربطُ الملكين برِباط وَثيق من المُصَاهَرة ، وتَزِيدهُما عَظمةً وهيْبَةً وقُوّةً أَمام غيرهما من المُلوك ، فذهَب الملكُ أَخوه إلى مَلِكِ المدِينَةِ المجاورَة لِمدينَتِه ، وهُنَاك استُقبِل استِقْبالاً يلِيقُ بملِكٍ عَظِيم .

ولما خَلاَ المكانُ بالملِكَيْن ، قال الأَخ الأَكْبر :

لَقَد جئتُك الآنَ فى أَمْرٍ فَرَّحَنِى ، ورجَوْتُ من رَبِّى أَن يَمنَّ علينَا بتحقِيقه ، قال الملِك :

يسُرُّنا أَن تكُونَ علَى الدَّوام فَرِحاً مَسْرورًا ، فَما ذلك الأَمر الذى جئت من أَجله ؟

قال الأَخ الأَكبر : إِن أَخِى وشَقيقى فُلاناً لَه رَغبةٌ مُلِحَّةٌ فى أَن يَتزوجَ الأَميرَةَ بنْتَك ، وقَد بعثَنى لأَخطبَها له .

قال الملك بَعد سكْتةٍ قَصيرةٍ : أَنْت تَعلمُ أَنَّها بنْتٌ واحِدة . وليسَ لى غيرُها ، وتَعلم أَنَّ أَخَاك جَعلَ حياته كُلَّها مُغامَراتٍ خَطِيرة ، وأَخشَى أَن يتَزوجَها ثُم يُلْقِى نَفْسَه فى مُغامرة يكونُ فِيها هَلاكُه ومَوْتُه ، وتكون بنْتِى إِذ ذاك قد حَملتْ مِنْه ، فتُصْبِح أَرملةً ، ويُصْبح ابنُهاَ يَتِيماً ، وتَقْضِى حَياتَها فِى بُؤْسٍ أَلِيمٍ ، ولَوْلا

ما قلتُه لكَ لكُنْتُ أَسْعدَ الملُوكِ بمُصاهَرةِ أخِيكَ ، وأَنتَ مَلِكٌ عَاقِل ، لاَ تبْخَسُ الأُمُورَ أَقْدَارها وقيمتَها ، ولاَ تُفَرّطُ فى صَغِيرِها وكبِيرها ، وأَنت أَيْضاً والِدٌ تَعْرفُ مِقْدار حُب الآباءِ لأَبنائِهم ، ومِقْدار الحرص الشَّدِيد علىَ راحَتِهم ، إن أَخاكَ لا عَيبَ فِيه إلا أَنَّه مُغامِر ، والمَغامِرُ لاَ عُمْرَ له ، وحَياتُه على كفِّه ، ولَوْ أَنّكَ مَوضعِى لرأَيتَ رَأْيى .

قال الأَخ الأَكبر : وأَنْتَ تَعلمُ أَن الآجَالَ مَقْدُورة ، وأَنَّه لا يَمنَعُ حَذَرٌ من قَدَر ، وأَن الجَبانَ الحذِرَ يُصاب وهُو فى آخر الصُّفوفِ ، ويَنْجو الشّجاعُ الجَرِىءُ الذِى يتقدّمُ الصّفُوف فى مَعارِك القِتال ، وأَنَّ الموتَ يَنزِلُ بالطِّفْلِ الصَّغِير وهُو فى حِجْر أُمّه ، ويَتْركُ الشيْخَ الفَانِىَ حَتّى يأْتِيَهُ أَجلُه .

قال الملك : ولكِنّ الآباءَ يَدينُون بالحرْص والحذَرِ الشّديدَين فى كُلِّ شىءٍ لهُ صِلَة بأَبْنائِهم ، ولاَ يَبغُونَ عَن ذلِكَ حِولاً ، وما عَليكَ إلا أَنْ تَبلِّغ أَخَاكَ هَذا الحَديثَ مُفَصّلا ، فلَعلَّه يَزْهَدُ فى مُغامراتِه ، مِنْ أَجل مَن اخْتارَهَا لنَفْسِه ؛ لتكُونَ شريكتَه فى حَياتِه ، وأَمَّ أَوْلادِه ، وأَنا أَعْلَم أَنَّكَ أَوّلُ الفَرِحِين بتحقيق رغْبةِ أَخيك ، كما أَنى أَولُ الفَرِحين بِتلْكَ المصَاهَرة لولاَ ما سَمِعت وعَرفْت .

نقلَ الأَخُ الأَكْبرُ إلى أَخِيه هَذا الحديثَ مُفَصّلا فابتسم أَخوه الأَصْغَر ، وقال :

لقَدْ أَبَى أَنْ يُزَوِّجَنى بنْته خوفاً من مُغامرات تُقرّبُ إلىّ – فى زَعْمه – أَجلِى ، ولكنّى سأَجْعل مُغامَراتِى تُقرِّبُه مِنّى ، وتجْعَلُنى – فى رأْيه – أَوّلَ زَوْج يَختاره

لابْنتِه ، وسَتسمع غَدًا ما يكونُ ، وإنَّ غَدًا لناظِرِه قَريب .

* * *

كانَت مدينَة الملِكِ والدِ الفَتَاة علَى مسافَةٍ غَير بَعيدَة مِنْ غَابةِ كثِيفَة مُخِيفَة ، وكانَ يَسكُنُها ماردٌ من الإنْسِ ، مُغْرمٌ بأَكْل لحُوم النَّاسِ ، وأَقْواها حُبًّا إلى نفسِه لحومُ الأَطْفال .

تسَلطَ هذا الماردُ علَى تِلْك المدِينة فأَزعجَ أَهلها بخطْفِ أَطْفالِهم ، واسْتَغَاثُوا بِملكِهم أَنْ يَدْفَع عَنْهم هَذَا الماردَ ، فبَذَل أَقْصَى ما يَستطِيعُه من قُوةٍ ، ولكِنَّه عَجزَ عَنْ قَتْلِه أَوْ طَردِهِ ودَفْعِه ، فأَعلَنَ أَنَّ من قَتلَ هَذا المارِد أَوْ حالَ بينَهُ وبَيْن المدينَة فلَهُ عِنْدَ الملِكِ ما يَطلُبُه ..

بلغَ هذا النّبأُ الأَمِير فَفَرِحَ وقالَ فى نَفْسِه :
جاءَت الفُرصَةُ الّتى أُرى فِيها الملِكَ أَنَّ أَقْدَار الرِّجالِ لاَ تَكُونُ بطُولِ أعمارِهم ، ولاَ بِبَسْطَةِ أَجْسَامِهِم ولا بكَثرة أَمْوالِهم وأَوْلادِهِم ؛ ولكِنَّها تكونُ بأَعْمالِهِم ، وأَنَّ من الرجَالِ من يعيشُ مئاتٍ من السِّنين، ثُمّ يَموتُ بَعدَ هذا العُمر الطّويل ويكُون نَسْياً مَنسِيًّا ، ومِنْهم مَنْ يَمُوتُ فى سِنِّ الثَّلاثِين أَو الأَربَعين ، ولكنَّه بأَعْمالِه النّافِعة المجِيدَة يكُونُ قَدْ أَطالَ عُمرَه ، وخَلّدَ ذِكرَه ، بِما خَلفَه من آثار نافِعَةٍ مَجيدَة ، فَهُو الميِّتُ الحَيّ ، وَارَى جِسْمَه التّراب ، وأَحْيَتْ ذكرَهُ الأَعمال ، سَأُرِيه أَن الحيَاةَ ليسَتْ عُمرًا طوِيلا يَقضِيه الإِنْسانُ فى الأَكل والشّرب والنّوم والاستِمتَاع بِما يَشْتَهِى ويُحب ، ولكِنّ الحياةَ أَعْمال نافِعَة تَعلُو بصَاحِبِها وتَرتَفِعُ كُلَّما

اتَّسَع نَفْعُها وشَمِل أكْثَر عَددٍ مِن الناس .

أَخَذَ الأَمِير عُدَّتَه من سِلاَحِهِ وزادِه ، وَرَكِبَ جَوادَه ، ومَضَى به قُدُماً إلى الغَابةِ الّتى سَكَنها المارِد ، واتخذَ فِيها مَأْواه ومُقَامَه . دَخَل الغَابةَ فى الضُّحا ، وكانَ الجوُّ صَافِياً ، والشَّمسُ ساطِعة ، تَخْتَلسُ أَشِعتُها الهُبوط إلى أَرضِ الغابة ، والأَغْصان بتَموّجِها تحاولُ مَنْعها ودَفْعَها ، ولهذَا لم تكن الأَشعة علَى أَرضِ الغابةِ ثابتة ولا مُسْتَقِرة ، فتَارة تَغْلبُ الأَغْصان ، فتَهبط ، وتارةً غلبُها الأَغْصانُ ، فترتَفع وتَخْتفِى .

أَخَذَ الأَميرُ يَجُول فى الغَابةِ علَى حَذر ، فرأَى على بُعدٍ كُوخاً من خَشَب الأَشْجار ، وأَمامَه فتَاة جَمِيلةٌ ، قَد وقَفَتْ شَاخِصَة ببَصرِها إلى السماءِ رافعة يَديْها ، باسِطَةً كَفَّيهَا ، فأَدركَ أَنّها تَستَغِيثُ برَبِّ السَّماءِ



أخذ الأمير عدته وسلاحه . . .

مِنْ هَمٍّ نَزَلَ بِهَا ، وأَدْرَكَ أَنها لا تَسْتَغيث عَلانِية إلا أَذا كانَتْ وحْدَها وَليسَ مَعها أَحَد ، وظَنَّ أَنّها مِمّن خَطفهُنّ المارِدُ ، وهِيَ تدعُو اللهَ أَن يُنَجِّيهَا من شَرِّه ، فأَسْرعَ إِليْها ليتَبَيَّن مِنْها صِدْق ظَنِّه ، أَو يَقِفَ علَى حَقِيقة أَمْرِها ، أَو يَتَّخِذ مِنْها دَلِيلاً علَى المارِدِ ومأْوَاه .

وَردَ الأَميرُ الكُوخَ وحَيَّا الفتاةَ ، فرَدّت التَّحِيةَ بأَحْسنَ مِنْها ، واندهشَتْ إِذْ ترى لأَولِ مَرَّة إِنْساناً يَدخُلُ الغابةَ ويَجُول فِيها غَيرَ خائِفٍ من المارِد ، وظَنتْ أَنَّه يَجهلُ أَمْرَه ؛ وأَدركَتْ مِنْ شكْلِه ودَلِّه أَنّه فَتىً نَبِيل ، فقالت :

مَن أَغْراكَ بدخُول هذه الغَابة ؟

قال : وهَلْ فِى دخُولِها مِن حَرَج ؟

قالت : المارد . . . المارد . . .

قال : ومَا المارد ؟

قالت : خَلقٌ من خَلقِ الله : لا نَدْرِى أَمِنْ بَنِى الإِنْسان هو أَم من مَرَدةِ الجان : قامَةٌ طَويلةٌ مُمتَدة ، ورأْسٌ ضَخْم كأَنه رأْسُ الفِيل ، وأُذُنان مُحَدَّبتان كأُذُنَى الفرس ، وعيْنان صَغِيرتان برّاقَتان كعَيْنَى الثّعْبان ، وأَسْنان طَوِيلة بارزَة ، تَنْفرجُ عَنْها شَفتان غَلِيظتان طَويلتان كَشَفَتَىِ الجمل ، وأَصَابع طَويلة كأَنها أَصابعُ المِذْراة ، يُحِبّ لحُومَ الأَطْفالِ حُبًّا جَمًّا ، تسَلَّطَ على المدُن المجاورة لهذِهِ الغابة ، فيَخْطَفُ الأَطْفَالَ ، ويَجىءُ بها إِلَى هذا الكُوخ .

قال : ومَنْ أَنتِ ؟ وما صِلتُكِ بهذا المارد ؟ وكيْفَ جئتِه فى غابَتهِ وعِشْتِ مَعَه ؟

قالت : خَطِفَنِى وأَنا لم أَتجاوز من عُمرِى الثانيةَ عَشْرةَ ، ولما جَاءَ بى إِلى هذا الكُوخ قال :

سأُبقيكِ لتَطْبُخى لِى وتَخدمِينى ، فأَطعتُه وقايةً لنفْسِى من الموْتِ ، وحِين لا يكُون مَعِى أَتَّجِه إلىَ ربِّ السماءِ ، وأَدعُوه أَنْ يُخلصَنِى مِنْ يَدِهِ ، وينَجّيِنى مِن حَبْسِه وكُوخه ،

قال : ومِن أَية مَدِينة جاءَ بِك ؟

قالت : من مدِينةِ الملك فلان ــ وكان والد الفتاةِ التى خطَبَها ــ

قال : وهَلْ عِندَكِ اليَوم أَطْفال ؟

قالت : عِندِى طِفْلٌ جاءَ به مساءَ أَمس .

قال : وهَل سَيأْكلُه اليَوم ؟

قالت : لا ، فقَد اعتَدتُ أَنْ أَحتالَ لإِبْقاءِ الطّفل عِندِى حَيًّا حتّى تنفَدَ لِى كُلّ حِيلة ، وقَدْ أَبْقيتُ هذا الطّفلَ عندِى اليَوم ، وقلتُ له :

إن الطِّفلَ درجَةُ حَرارته مُرتفِعة، وربّما كان مريضاً بمرض يَنْتَقل إليك إذا أكلت لحمَه .

فقال : اتركيه اليَوم ، وإنى ذاهبٌ لأُحْضِر لك غَدائِى من حَيوانِ الغَابة ، وأَنا الآن فى انْتظارِهِ ، وإنْ حضَرَ ورآكَ فما أَنْت بناجٍ منه .

قال : إنّ ما دَخَلتُ الغابةَ إلاّ من أَجلِ هَلاكِه ، وتَخلِيص المدُنِ من شَرِّه ، فإنْ رغبتِ فى ذَلك فعاوِنينى على تَحْقيقِه .

قالت : ولَكَ شُكرِى ، فاطْلب مِنّى ما شِئْت .

قال : عليكِ أَن تختارِى لى مكاناً حَصِيناً أَخْتبِئُ فِيه ، بحَيثُ لا يَشعُر بِى أَبدًا ، فإِذا ما حَضَر فأَطعِميه وأَشْبِعيه ، فإِذَا ما غَطّ فى نَومِه فأَشيرى إلىّ أَنْ أَجِىء إليه ، وهذَا عَملُكِ والبَقيةُ علىَّ .

قالت : لكَ هَذا وأدعو الله أنْ يكتُبَ لكَ التّوفيق والسّلامَة .

* * *

وكانَ بالقرب من الكُوخ مكانٌ قد ازْدحَمَ بالشَّجر الذى له أوراقٌ تمتدّ مُسترسِلَة كشَعر البَنات ، فذهَبتْ مَع الأَمير وخبأَته بَيْن هذا الشجر هو وجَواده ، وحذَّرتْه أَن يَصْهل الجوادُ أَو تبدُو منه حَركة ، وقالت :

أَدِم النّظَر إلى الكُوخ ، فإذا ما أَشَرتُ إليكَ فأَسْرِعْ بالحضُور ، وعِندَكَ البَقِية .

قال : اطمئِنّى ولاَ تَهتمى .

حضَر المارِد ومَعه حَيوان مِن حَيوانِ الغَابَة يُشبِه الْغزالَة ، فأَسْرعتِ الفتاةُ وجَهَّزت الغَداءَ ، ثم أَكل حَتى شَبع ، واستلقَى على ظَهْرِه ، وغَطَّ . فِى نَومِه



وربط الأمير رأس المارد فى الجواد . . .

غَطِيطاً عالياً سَمِعه الأَمِيرُ قَبلَ أَنْ تُشير الفتاةُ إليه ، ولكنّه انتظَرَ إشَارتَها .

أشارَتْ إليه الفتاة فأَسْرعَ وحَضَر ، ورفع سَيفَه وهَوَى علَيه بِضَرْبَة قَوِيَّةٍ فَصلتْ رأسَه عَن جِسْمِهِ ، وانبثَق الدم كأنّه ماءٌ يَنْدَفِع من نَافُورة ، ففرحت الفتاةُ ، وأَرسلَتْ فِى الجوِّ زَغْرودة أَصْغت إليْها أَشَجارُ الغَابة

ربَط الأَمير رأس اَلمارِدِ فى الجَواد كأَنّه عربةٌ يجُرُّهَا ، ثم ركبَ الجَواد ، وأَردَفَ الفَتاةَ والطّفلَ مِن خَلَفِه ، وانطَلق ماضِياً إلَى المَدينَة ، وحِينَ دخَلَها ذَاعَ خَبرُ حضُوره بالمارد مقْتولاً ومَعه الفتاة والطّفل المخْطوف حَدِيثاً ، فأُهْرِعَ النّاسُ إلَيه من كُل طَرِيق وشارِع ، ودَوَّى جَوّ المدينَةِ بالزَّغاريد ، وأَنْغامِ

الموسيقى ، ودقات الطبول ، ووصلَ الخَبرُ لِلْملك فاغْتَبطَ ونَهضَ هو وحاشِيَتُه وحَرسه فاستَقْبلُوا الأَميرَ بالحفاوَةِ والتَّكْريم ، وسار جَميعُهم إلى قَصرِ الملكِ ، وحضَر أَهل الطّفْل فأَخذوه فَرِحين ، وجاءَ أَهل الفَتَاةِ فأَخَذُوها فَرِحين ، وقال له الملك :

لَكَ الآن عندى ما تَطْلب ، فمَن أَنْت ؟ ومَا طَلِبَتُك عِنْدى ؟

قال الأَمير : أَنا شَقِيق الملك الذى خَطبَ ابْنَتك لِى ، فإِن رَأَيتَنى الآن خَير زوج لِابْنَتكِ فتِلْكَ حاجَتِى عِندَك ، وإِنْ رأيتَ غَير ذلك فمنى عليك السَّلامُ ، وأَمّا قَتْلُ المارد فَذلِك عَملٌ إِنسانِيٌّ لا أَطْلبُ له جزاء .

قال الملك : لقد استَطعْتَ أَنْ تُعرّفنَا وتُعرِّف النّاسَ بفَضْلِك وعُلُوِّ قَدرِك ، ولنا الشَّرفُ أَن تكون

ابْنَتِى لك زَوجَةً ، فأَحْضِر أَخاكَ ومن تُحِبّ من أَهْلكَ وذَوِيك ؛ لتُزَفّ إليكَ فِى حَفْل كَرِيم .

* * *

رجَع الأَميرُ إلى أَخيه الملِك ، فوجَدَ النبأَ قد سَبقَه واغْتبَطَ به ، فلما حَضَر ابتَدرَه بالتَّهنِئَةِ ، وضمَّه إلى صَدْره فرحاً به .

وبَعد ثلاثة أَيام ذَهَب هُو وأَخُوه الملك وحاشيتُه وجَماعة من الأَهل والأَصْحاب إلى الملك والدِ الفَتَاةِ ، وهُناك زُفّت إليه فى حَفْل عَظِيم وفَرح ٍ عميم .

فرغ الوالد من حكاية « الأمير المغامر » ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » .

طاب مساؤكم يا أبنائى ، وتصبحون على خير . . .

وكانت الليلة التالية ، فجلس الأولاد ملتفين حول أبيهم مسرورين ، واستمعوا إلى ما يقصه عليهم أبوهم من حكايات الليالي .

وكانت حكاية الليلة .. حكاية « الأمير سحاب » :

الأَمِير سَحاب

جلَسَتِ الجدةُ العَجوز بعدَ صلاةِ العِشاءِ ، وأَمامَها أَحْفادُها تقُصُّ عليْهم ما تَعرفُه من قِصَص الأَولين ، فَقَالت :

كان فى مدينةٍ من المُدُنِ الكبيرَةِ القديمة ملكٌ يحكُمها بالعَدلِ والرحْمةِ ، ويَسوسُها باللِّينِ والرأْفَة ، ويَقْسُو على مَن يستَحِقُّ القَسوَة ، وكان له ابنٌ رَبّاه

عَلَى الشجاعَةِ والبُطولة ، وصَيد الغزلان والوُحُوش من الغاباتِ والفَلوات ، حتّى بَرَعَ فِيها ومَهَر ، وفَاقَ أَقرَانَه من ذَوِي القُدَر ، وصارَ والدُه لا يخْشى عليهِ إذا ما خرجَ وحْده يبتَغى الصّيدَ فى أَخطرِ الغاباتِ والفلوات .

وذاتَ يومٍ صَفَتْ سماؤُه ، وسطعتْ شمسُه ، واطمأَنت رياحُهُ ، خرج إلى فَلاةٍ فَسِيحة ينشدُ الغِزْلان ، فسارَ حتّى أَبعدَ ، واختفَتْ عنْ أَنظارِهِ مدينةُ أَبيه .

وفى أَثنَاءِ سَيْرِهِ وجدَ بئْرًا عَميقة ، فأَطَلّ فِيها فأَلقاها جافّةً ليسَ فِى قاعِها قَطرَةٌ من الماءِ ، ورأَى قاعَها كأَنَّه صَخرةٌ مَلْساءُ ، يكشِفُها للناظِرِ ضَوءٌ كأَنّه ضَوءُ المصْباح ، يأْتيهِ من فَتحةٍ فى أَسفلِ

البئْرِ كأَنَّها باب فى جانِبه ، فشغَفتْه مَعرِفَةُ هذه البئرِ وما وراء هذا الباب المفْتوح فى جانِبها عِندَ قَاعِها ، ووقَف يفكرُ فى حيلةٍ تُمكنُه من النّزولِ فِيها ، ليُسكِتَ شغَفَه ورغْبَته .

وبَيْنَما هُو يُفكر ويُدَبر لمح قِطعةً من غُصنِ شَجرةٍ مُلقاةً على الأَرض ، فاهْتَدَى إلى حِيلةٍ أَعجبتْه ، ومَلأَت نفْسَه اطمِئنانًا ، وفى الحالِ جرَى نحوَ القِطعةِ من الغُصنِ فحملَها إلى البئرِ ووضَعَها فَوقَ حافتِها ، كأَنّها وتَرٌ لمُحيطِه ، بعدَ أَن ربطَ فى وَسَطِها حَبلاً طَويلاً كان مَعه ، ثم أَدْلَى بقيةَ الحبلِ فى البئرِ حتّى كانَ طرفُه الآخرُ فوقَ قاعِها ، ثم تَعلّق بالحبلِ وتزحلَقَ عليْه قليلاً قليلاً حتّى كان علَى قاعِ البئر.

* * *

وجدَ الفتَى عِندَ قاعِ البئرِ سِرْداباً فدخلَه ، ومَشَى فيه حتى انتَهى إلَى مكانٍ فَسِيحٍ ، قام فى وسَطِه قَصرٌ بَديع غُطيتْ جُدرانُه بالمرمر ، وكانَت تُطل من نافذتِه فتاةٌ جَميلة ، فلما رأَتْه قادمًا وسَيفُه فى يده ، وعلَى وجْهه أَمارات البُطولةِ بادِيَة ، ابتَدرتْه قَائلة :

أَهلاً وسَهلاً ، مَرحباً بالبَطل الزّائر ، ادخُل القَصرَ وجِئْنِى فى غُرفَتى ولا خَوفَ عَليْك .

دخلَ الفَتى القَصر وصَعد إلى الفتاة فى غُرفتِها ، فاستقبلتْه هاشَّةً باشَّة ، يفيضُ وجْهُها فَرْحَةً وغِبْطَة . وأَجلسَتْه علَى أَريكةٍ وَثيرةٍ فاخرَة ، وجَلَسَتْ أَمامَه علَى أَرِيكةٍ أُخرى مِثلِها ، ثم سَأَلَتْه قائِلة :

مَن أَنت ؟ وكيف جئْتَ هذا القَصر ؟ وهَل كنتَ تَعرِفه أَو جئتَه من قَبل ؟

قال الفتى : أنا الأَميرُ سحابٌ ، ابنُ ملكِ المدينةِ التى تُطل على تلكَ الفَلاة الفَسِيحة ، خرجتُ منها للصّيدِ فى هذِه الفَلاةِ ، فعثرتُ فى طريقِى على هذِه البئْر ، وكانَتْ دهشَتِى حين أَطْللتُ فِيها ولم أَجِد قَطرةً من ماءٍ ، وزادَتْ دهشَتِى حِين رأَيتُ عِندَ قاعِها فَتحة بها ضَوءٌ كأَنها باب ، فَدفَعَنِى حُبُّ المَعرِفةِ إلى النُّزولِ فِيها ، لأَتَبَيَّنَ أَمرَها ، ووقَفتُ حائِرًا أُفكر فى حِيلةٍ تمكنُنِى من النزولِ فِيها ، وما كنتُ لأَهتدِىَ إلى حِيلَةٍ لولا أَنّى رأَيتُ على مقربة من البئر قِطعةً من غُصنٍ شجرة كَبيرة ، فجريتُ نحوها وحَملتها إلى البئر ، ووضَعتُها علَى جانِبَيْها كأَنّها وَتَرٌ لها ، بعد أَن أَدليتُ فى البئرِ منْها حَبلاً طَويلا ربطته فى وَسَطها ، ثم تَعلقتُ بالحبْل وانزلقْتُ فوقه قَليلاً قَليلاً حَتّى كنتُ على

قاعِها ، ثم دخَلتُ السِّردابَ ومَشيتُ فِيه حَتّى وجَدتُنِي أَمَام هذا القَصر ، وما كنتُ أَعْرِفُه ولا جِئتُه من قَبل .

قالت : أَما كنتَ تتوقَّع خَطرًا يلقاكَ فى هَذا المأْزِق ؟

قال سحاب : إِنّما يتوقَّع الخَطر من يَخَاف ، والآنَ أُحبّ أَن أَعرفَ . . :

من أَنت ؟ ولمنْ هذا القَصر الجَميل ؟ وكيفَ جئتِه ؟ ولماذا رَضيتِ لنفْسِك الاعتزالَ فِيه ؟

قالت : أَنا الأَميرةُ بديعةُ الجَمَال ، بنتُ ملكِ مَدينةِ الجبال ، خَطفَتنِي جنّيةٌ من قَصر أَبى ، وجاءَت بِي إلى قَصرِها هذَا لأَعيشَ مَعَها فِيه ، لأَنّنِي أُشْبه بنْتًا لها ماتَتْ . وكانتْ تحبُّها حبًّا عَظِيماً ،

وبكتْ عليها بُكاءً مُرًّا ، وفى وُجُودى معَها مَسلاةٌ وعَزاءٌ لها .

قال سحاب : وأينَ الجنيةُ الآن ؟

قالت : ذهبتْ لتُحضرَ لِى ما لذّ وطابَ من ألوانِ الطّعام والشّراب.

قال : ألا تُحِبين أن ترجِعِى إلى أبويْكِ وأهلِك؟

قالت : أُحبّ أن أرجع إلى أبَوَىَّ وأهْلى ، وليتَنِى أستطيعُ ذلك ؛ ولَيتَنِى أَجدُ السّبِيلَ والوسِيلة .

قال سحاب : أنَا أستَطِيعُه ، فإن كانَتْ رغبتُكِ صادقةً فهيًّا بنا نخرج قبلَ أن ترجِعَ الجنيةُ من غيبَتِها .

* * *

نَهضت الأَميرةُ بديعةُ الجمال ولبسَتْ ثيابَ

الخُروج ، وقادَها الأَمير سحابٌ إلى قاعِ البئْرِ ، ثم أَرْكبَها على ظَهرِه ، وأَمسكَ الحبلَ بيدَيه وجَعلَ يصْعدُ فِيه بِقُوةٍ حتى خرجَ بها من البئْر ، ثم فكّ رباط الحبلِ عن الخشبةِ وأَخذَه ، وأَلْقَى بالخَشبةِ فى العَراءِ ، ومَحَا بذلكَ معالِمَ الوَسيلةِ الَّتِى نزلَ البئْر بِها وخَرجَ مِنْها ، ثم قال :

هيَّا بنا نبعُد عن هذِه البئر قَبلَ أَن تعودَ الجنية ، فَتبطِلَ تدبيرِى وسَعْيى فى الهرَب مِنْها بِكِ .

قالت : وإلى أَين تَذهبُ بى ؟

قال : إلى قَصرِ أَبى ، وهُناك أَعرفُ مدينة أَبيك أَين تكون ، وأُدبِّرُ الوسيلةَ لِلرَّحيلِ بِكِ إليها .

* * *

أَسرعَ الأَميرُ والأَميرة فى السَّيرِ هرَباً ، وكانت

الأَميرةُ قد ضَعفَ أَملُها فى العَودةِ إلى أَبَوَيها وأَهلِها فقالت :

أَنت هرَبتَ بِى من قَصرِ الجنّيةِ ، وأَظنّها حين ترجعُ ولاَ تجِدُنى فِيه ستَغضَبُ وتَثورْ ، وتَنشَطُ فى البَحثِ عَنّى ، ولنْ تسكُتَ حتّى تخطَفَنِى ، وقد تصِيبُ بأَذاها مَنْ خَطفَنِى ، وقد صِرتُ الآن فى يَدِ أَمير كأَننِى مَسْبِيَّة ، لا رأىَ لِى ولا إرادَة ، ولا أَدرِى مصيرى عنْدَه .

قال الأَمير : أَما الجِنّيةُ فلا خَوفَ علىَّ ولا عليكِ منها ، وأَما أَنكِ فى يَدِى كفتاةٍ مَسبِيّة ، فذلك ما لا وُجودَ له فى نفسِى ، وأُحبُّ أَلا يخطُرَ الأَسرُ على بالِك ، فأَنت حرةٌ طليقَة ، وأُختٌ لى عزيزة ، أَحْميك بدَمِى ، وأَصونك بسَيفِى ، وأَكفُلُكِ بمروءَتِى وعزةِ

نَفْسِى ، وأَمْرُكِ الآن إليكِ ، فانظرى ماذا تأْمُرِين .

قالت : أَشكر لكَ مروءَتك ورجولتَك ، وأُحبُّ أَن أَرجعَ إلى أَبَوَىّ وأَهلِى فى مدينةِ الجبال .

قال : نحن جادّون فى العودَةِ إلَى قَصر أَبِى ، وهناك أَعرف السبيلَ إلى مدينةِ أَبيك ، وأُدبّر الوسيلةَ للرحيلِ إليها بكِ ، فهل يساورُكِ خوفٌ منا على نفسِكِ ؟

قالت : ما دمت علَى هذا القدرِ من المرُوءَةِ والرجولة وعزّةِ النفْسِ فلن يساورنى خوفٌ منكُمْ علَى نفسِى ، فامضِ بى إلى حيثُ تُريد ، ولعلَّ محنَتِى هذه خَيرُ سبيلٍ إلى ما أَتمنَّاه الآن لنَفْسِى .

التقت هذِه الأُمنيةُ بأُمنيّة فى نفْسِه فقال :

أَرجُو أَن يكون هذا . واللهُ الموفقُ والمُعِين .

قالت : وفَّقَكَ الله وأعَانك.

وكانت الأُمنية الزواج .

* * *

أما الجنّيةُ فإنها حين رَجعت ولم تجِدْها فى القَصرِ غَضبتْ وثارت وارتَفعتْ فى الجوِّ إلى السَّماء باحثة عنها فأصابها شهابٌ أَحْرَقها وماتَت .

وبعد قليل كانَ الأَمير سَحابٌ أمام أَبيه الملِكِ فى قصرِه ومَعَه الأَميرة ، وأَطلعَه على ما وقع له فى يومهِ ، وعرّفه بالأَميرة بديعة الجمال ، وأنها تَودّ أن ترجعَ إلى أَبويها فى مدينة الجِبال ، فهنأَها الملكُ بنجاتِها من الجِنِّية ورحّب بها ، وأَمَر أَن تقيم مع زوجتِه فى بيت الحَريمِ ، وأَن يُسأَل الخُبراءُ وذوو المعرفةِ والعلم بالبلدان

عن مدينة أَبيها فورًا ، وأَن يرحَلَ بها ابنُه إليها عقبَ مَعرفتِها .

ولما استيأَسَ الملكُ ، وقَعدَ به العَجزُ عن مَعرفةِ المدينة جاءَته عَجوزٌ تتهدَّجُ فى مشيتِها ، وتتحاملُ على عَصًا غليظةٍ فى يَدِها ، وكانت ذات قدرَةٍ فائِقَة فى السحر واستِخدامِ الجانّ وقالت :

بلغنِى أَنّ مولاى الملكَ يسأَلُ عنْ مَدينةِ الجبال .

قال : نعم ، ولم أَجِدْ فى مَدينتِى من يَعرفُها ، وأَخْشى أَن أَعجزَ عن مَعرفتِها أَمام بدِيعةِ الجمال ابنة مَلِكها التى لجأَت إلىّ ، واستنجدَتْ بى فى إرجاعِها إلى أَبويْها مَعَ ابنى الأَمير سحاب .

قالت العَجوز : إننى أَعرف المدينَة ، وهِى قريبةٌ منّا وبَعيدةٌ عَنّا .

عَجِب الملكُ وقال : وكيف تكونُ قريبةً وبعيدةً فى وقت وَاحد ؟

قالت : بينَنا وبينَها تلكَ الفَلاة الشّرقية التى تَنتَهى إلى هذه الجبال العَالية التى تشقُّ السَّحاب . فهى لذلكَ قَريبة مِنّا ، وهى خَلف تلكَ الجبالِ العالية التى لا يقدِرُ أَحد أَن يتخطَّاها إلى النَّاحية الأُخرى حيث مدينة الجبال ، وهى لذلك بعيدةٌ عَنّا ، وفى استِطاعتِى أَن أُوصّل الأَميرَ والأَميرةَ لهذه المدِينة ، وأَن أُعيدَهما إلَى قصرك فى أَقربِ وقت مَتى شِئْت .

قال الملك : ولكِ عِندِى لِقاءَ هذا مكافأَة سَنيّة .

قالت : مكافأَتِى أَن أُرضِىَ الملكَ ، وأَن يرضَى عَنى ، وإذا كان الأَمير والأَميرة على استعدادٍ للرحيل الآن فليَأْتِيانِى ، وسأُكلفُ من يَحمِلهما من مَردةِ الجانِّ إلى المَدينة .

ولما حضَر الأَمير والأَميرة فى الحالِ تَلَتْ عزيمةً من عزَائمها السّحرية فحضَر إليها ماردٌ وقال :

لبيك أَيتُها العجوزُ الساحرة . فأَمَرَتْه أَن يَحمِلهُما إلى مدينة الجِبالِ ، وأَعطَت الأَمير ثلاث شَعراتٍ وقالت :

إذا أَردت العَودة إلى قصر أَبيك فأَحرق شَعرةً من هذه الشعرات ، وسيجيئُك هذا الماردُ فى الحال ، وسيعودُ

بِكَ إلينا .

* * *

حملَهما المارد على ظهرِه وطارَ بهما حتى حطّ فوق سَطح قصرِ مَلِكِ مدينة الجبال ، ثم تركهما واختَفى .

قالت الأَميرة : انتظرنى هُنا حتى أَعودَ إليْك ، ثم نَزلت فى سُلّم القَصرِ حتى كانَت أَمام أَبويها فى دهْشتِه ، وكانت فرحة عظيمة ودهشة أَعظم ، وقاما إليها واحتضَناها وقبلاها ثم سأَلاها :

كيفَ اختفيْتِ ؟ وكيفَ عشتِ مدةَ اختفائِك ؟ وكيفَ رَجعتِ إلينا ؟ فقصّتْ عليهما القصةَ برُمتِها ، ثم قالت :

وهذا الأَميرُ فوق سطْح القصر ينتظرُنى كما

أَمَرته حتّى أَعُودَ إليْه لآتِىَ به إليكُما .

قال أَبُوها : أَسْرِعِى إليه وأَحْضِريه ، فلما عادت بِه استقبلاهُ استقبالا يفيضُ محبَّة وغِبطةً وحَفاوة ، ثم عرفَهم بنفْسِه ، وعززت الأَميرةُ قَوله ، ولبثَ فيهم ضيفًا عزيزًا ، وغمروه بكرمِهم ومحبّتِهم ، وفى اليوم الثالثِ طلبَ الأَميرُ من الملكِ يد ابنتِه بديعة الجمال.

ابتسمَ الملك وقال : تِلكَ رغبةٌ فى نفْسِى ، وقبلَ أَن أُبديها أُحبُّ أَن أُشاوِرَ ابنتِى وأُمّها.

قال الأَمير : تِلك مشورةٌ واجبة ، فى مثل هذا الأَمر والله الموفق .

* * *

عرَض الملِكُ الأَمر على زوجتِه فقالت : إن هذا الأَميرَ من أَعلى البيوتِ وأَشرفها ، وابن ملك مثلك ،

وعلَى خلقٍ كَريم ومُروءَةٍ ورُجولة قلَّ أَن نجدَها موفورةً فِى شابٍّ مِثله ، فقدْ كانت ابنتُنا كأَسِيرة فى يَدِه ، وفى خَلوةٍ لا يخشَى فِيها من أَحد ، ولكنّه حافظَ عليها ، وصانَها كما تصونُ الصدفةُ الجوْهرَة ، فَلنْ تَجِدَ زَوجاً خيراً منه .

قال : وما رأْىُ بَديعةِ الجمال ؟

قالت : كنَّا نَتحدث ليلةً فى سيرةِ هذَا الأَمير فوجدتُنى أَسأَلها قائلةً :

ربما خطَبكِ هذا الأَميرُ من أَبيكِ فما رأْيك ؟

قالت : إنما يُختارُ الرجلُ لخلقِه ومروءَتِه ورجولتِه ، وما وجَدتُ من هذا الأَمير فى صُحبتنا وعزلتنا شبهةً ولا رِيبَة .

قال الملك : على بركةِ الله .

وفى الصباحِ جلسَ الملكُ على عرشه ، وطلبَ إليه الأَمير ، فلما جاءه أَجلسَه إلى جانبه وقال : هنيئًا لك الزواج من ابنتى يا سَحاب .

* * *

وبعد أَيام زُفَّت إليه فى قَصرِ أَبيها ، ولبثَ فيهم مَعها شهرًا ، ثم استأْذنه فِى العودَةِ إلى مدينةِ أَبيه ومَعه زوجته فأَذنَ له ، وفى ساحة القَصرِ أَحْرق شعرة من الشعرات الثلاث فجاءهُ المارد وحملهما إلى قصر أَبيه . وهناكَ أُقيمت الأَفراحُ والولائِم لقُدومهما .

ثم عاشا سَعيدَيْن لا يقلقُهما إلا الجنية ، وخوفُهما من أَن تختطفَ الأَميرة على غَفلةٍ ، وبعدَ أُسبوع جاءتهما العجوزُ الساحرة وقالت :

جئت مُهنئةً بالعودة والزواج ، ومُبشرةً بأَن الجنية التى

كانت قد اختطفت الأَميرة قد عادت إلى قصرها ، ولمّا لم تجد الأَميرةَ فيه غضبت وطارت وارتفعت فى الجوِّ باحثة عَنْها فأَحرقَها شهاب من السماءِ وماتت ، ففرح جميعُهم بهذه البشْرى وأَغدقوا عليْها الهبات والعطايا السنية .

فرغ الوالد من حكاية : « الأمير سحاب » فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية ، حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » .

طاب مساؤكم يا أبنائى ، وتصبحون على خير . . .

رقم الإيداع	١٩٩٤ / ٨٣٣٥
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4696-4

٧ / ٩٤ / ١٩٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

حكايات الليالى

هذه مجموعة من الحكايات الممتعة.. التى تعيد إلى الناشئة أجمل مافى الليل من تقاليد الأسرة العربية.. حينما يجلس الأب إلى أبنائه ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة.. فيجيبهم ويحكى لهم واحدة من الحكايات.. تحمل الحكمة.. والطرافة.. والخيال.. بأسلوب سهل ميسر.

صدر منها:

١ – القيثارة الساحرة
٢ – بنت الصياد وابن الملك
٣ – الأخوة الثلاثة
٤ – فطانة القاضى
٥ – الفقير الطامح
٦ – القرد العجوز
٧ – الطائر المغرد
٨ – الأمير المغامر